Journal Of the Iraqia University (71-4) September (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي وجماليات وصف الطيور في شعره (الخطافة وطير أم الحسن أنموذجا)

عمر كامل محمد الكبيسي

جامعة الأديان والمذاهب كلية اللغات والثقافات الدولية قسم اللغة العربية وآدابها

Youssef bin Haroun Al-Ramadi Al-Andalusi and the aesthetics of describing birds in his poetry (The hook and the bird of Umm al-Hassan are an example

University of Religions and Sects / College of International Languages and Cultures / Department of Arabic Language and .Literature

researcher: Omar Kamel Muhammad Al-Kubaisi

omarkamelalkubaisy@gmail.com

:Abstract

This research aims to describe the hook and the bird of Umm al-Hassan in the poetry of Yusuf ibn Harun al-Ramadi through the descriptive-analytical approach. One of the most important results reached by this study is that the poetry of Yusuf ibn Harun is replete with descriptions and many similes, and his poetry is organized and precise, and that his descriptions take you to another world, as there are descriptions in it. Birds, descriptions of silent and living nature, and descriptions of wine, flirtation, and satire. And by this voice we understand its ,tones and its tweets, as its voice brings us to hear it, and that the mother bird Keywords: Andalusian poetry description, Yusuf bin Harun Al-Ramadi, Al-Khattafah, Umm Al-Hassan

المستخلص:

تعدد موضوعات الوصف في العصر الأندلسي، حيث وصفوا طبيعة الأندلس الطبيعية والصناعية بما تشمله من حقول، وإنَّهار، وجبال، وقصور، وبرك، وأحواض، ومن أهم الإلامور التي وصفوها: الروضيات، والزهريات، والمدن الأندلسية، والثلجيات، والمائيات، والثمريات، أي أنَّ الوصف شمل جميع جوانب الطبيعة. لا يخفى على القارئ أن العصر الأندلسي عصر علم ومعرفة وتسابق بين الشعراء والعلماء والكتّاب، وإنَّ الطبيعة في ذلك العصر هي طبيعة خلاّبة وجميلة مما جعل الشعراء يتغنون بكل ما تقع عليه اعينهم، ويوسف بن هارون الرَّمادي هو شاعر من ذلك العصر وقد أشتهر بالوصف لكثرة أوصافه إذ لا تقع عينه على شيء إلا وقد وصفه ومن ذلك وصفه للطيور .يستهدف هذا البحث وصف الخطافة وطير أم الحسن في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي عبر المنهج الوصفي –التحليلي ومن أهم النتائج التي توصلت بها هذه الدراسة أن شعر يوسف بن هارون زاخر بالأوصاف وكثير التشبيه وشعره منظوم ودقيق وأن أوصافه تأخذك إلى عالم آخر ففيه من وصف الطيور وفيه من وصف الطبيعة الصامتة والحية وفيه من وصف الخمر والغزل والهجاء.وأن طائر الخطاف طويل التغريد، وإنَّ تغريده أعجمي أي بصوت غير عربي ولكن هذا الصوت نفهم نغماته تغريداته إذ أن صوته يجلب الإسماع له وأن طائر أم الحسن يبدل صوته كلما سمعت صوت اخر أي إنَّها تردد أصوات ما تسمع من حولها، والسبب في ذلك لسكوتها طوال هذه المدّة.**الكلمات المفتاحية:** الشعر الأندلسي، الوصف، يوسف بن هارون الرَّمادي، الخطافة، أم الحسن

المقدمة

تنوّعت موضوعات الشعر العربيّ، ففي العصر الجاهليّ كان الشعر وسيلة من وسائل إلاعلام، فالشّاعر يصفُ معركة بين قبيلتِه وقبيلة أخرى ليعلن عن انتصارها، ويفخر بقوّتها، وفي العصر إلامويّ كان الشعر يؤدي دورًا مهمًا في إبراز الخلافات السياسيّة في الحُكم، وكذلك في العصر العباسيّ، فالشعر خلّد بعض الشخصيات، وأبرز دورهم في هذا العصر، ومن أهمّهم سيف الدولة الذي قال فيه المتنبّي شعرًا كثيرًا، وأَبُو تمَّام الذي كان من أبرز قصائده ما قاله في فتح عمورية، ودور المعتصم في المعركة، وكذلك شعر البحتري في المتوكل، وقد اعتمد الشعراء في ذلك كله على الوصف في شعرهم، وركّز الشعراء الأندلسيون على وصف الطبيعة الأندلسية، وتاليًا تعريف شعر الوصف إضافة إلى ذكر شواهد على الشعر الوصفيّ.يستهدف هذا البحث جماليات وصف الطيور في ديوان يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي الذي وفاه إلاجل سنة أربعمئة وثلاثة هجرية والذي كان كثير من شيوخ الأدب يقولون (فتح الشعر بكندة، وختم بكندة ويعنون بذلك أمرؤ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون)[١] وهذا يدل على أن يوسف أشعر أهل الأندلس في عصره إذ إنَّه كان مشهور في ذلك الوقت وكان قريب من الخلفاء وإلامراء، وهو (كثير الشعر، سريع القول، مشهور عند العامة والخاصة)[٢]. وقد أخترتُ هذا الشاعر لأنّي عجبتُ أولا بالعصر الأندلسي الذي كان يسوده العلم والعلماء وأن الشعراء بذلك العصر كانوا يسابقون بقول الشعر وبعد إلاطلاع والتدقيق في أي موضوع وأي شاعر أختار إلا أنّي قد اخترتُ يوسف بن هارون الرَّمادي لإنَّه شاعر معروف ومقدم على شعراء عصره ومعروف عند العامة والخاصة إلا إنَّني قد استغربتُ لماذا الباحثين لم يتناولوا هذا الشاعر علماً إنَّه كان مشهور ومعروف عند الجميع، وأن أشعاره تفوق الخيال والتشبيهات كثيرة، وأن شعره جيد لماذا لم أجد إلا القليل من الباحثين قد تناولوا هذا الشاعر وشعره، وهذا الذي دفعني أن ابحث عنه أكثر إلا أنّي فعلا لم أجد إلا رسالتين عنه ولهذا قد اخترته وقد حددتُ عنواني بالوصف ولماذا قد اخترت الوصف؟أختياري للوصف ليس عبطا، وإنَّما كان لكثرة أوصافه وخاصة في الطيور والتي قد خصص لها كتاب كاملاً كله من أشعاره والذي قد نظمه عندما كان في السجن، وقد سمّاه كتاب الطير والذي وصف فيه كل طائر[٣] وقال عنه الحميدي: (وهو كتاب مليح سبق اليه، وقد رأيت النسخة المرفوعة بخطه ونسخت منها)[٤].

أسئلة البحث:

ما هي جماليات وصف الطيور في شعر وآثار هذا الشاعر الأندلسي؟

١. لماذا لجأ الرَّمادي بوصف الطيور في ديوانَّه ؟

٢. ما هي مكانة الطيور في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي؟

فرضيات البحث:

لقد ورد الوصف في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي في القرن الرابع هجري في كثير من أشعاره وقد خصص له كتاب كامل في هذا الخصوص وعندما نلاحظ الوصف في شعره نجده قد حاز على كثير من أشعاره لكن هناك كثير منها لم تصلنا بسبب الضياع.كان السبب الرئيسي وراء وصف هذا الشاعر للطيور هو اهتمامه الكبير بالطبيعة وفك رموز جمال الطبيعة. وأدى مناخ الأندلس المعتدل، وتنوع في أعداد الطيور في تلك الأرض، لحق والتف الرَّمادي بتوصيف الطيور في مجموعة منفصلة تحت عنوان " الطير ".

الدراسات السابقة:**الصورة في شعر الرَّمادي**؛ جانسيص أحمد محمود , تاريخ: ٢٠٠٤م , موقع: حمص, الصفحات: ٢٥٤, نوع المحتوى: رسالة جامعية, الجامعة: جامعة البعث– كلية الأدب والعلوم الأنسانية , الدولة: سوريا, الدرجة العلمية : ماجستير؛ تتحدث هذه الدراسة عن الصورة في شعر الرَّمادي , والتي تناول فيها مفهوم الصورة في النقد العربي القديم والحديث , وعن الجانب الشكلي من النواحي الحسية والجزائية واللفظ والمعنى والتصوير والسرقة الشعرية ... وقد تحدث عن الجانب الإبداعي المتمثل بالخيال والتخيل والايحاء والإبداع والإبتداع , ولا نغفل إنَّه تحدث عن الأغراض الشعرية ومنها الوصف الذي استخرج منه مقالته , وعن الغزل والمدح والرثاء والهجاء , وكان الوصف يغلب على شعره , ثم تحدث عن التشكيل الجمالي في شعر يوسف الرَّمادي , ثم تحدث عن الصورة في بناء القصيدة , في ضل مناهج النقد الحديث , وهذه الدراسة قد اتت في خمسة فصول –**البناء الفني في شعر الرَّمادي الأندلسي** اسم المؤلف: أحمد عبد حسين الفرطوسي , الموضوع العام: اللغة العربية وآدابها , السنة: ٢٠٠٦م, الموضوع الدقيق: الأدب, الجامعة: جامعة بغداد كلية التربية –قسم اللغة العربية , الدرجة: ماجستير؛ فإن الأدب الأندلسي أدب حي كان له انعكاساته الواضحة على مجمل أطوار الأدب العربي، لإختلاف البيئة التي عاش فيها الشاعر الأندلسي عن الشاعر المشرقي، وفي مقدمة هذه الاختلافات كانت الطبيعة الأندلسية ومعالمها من ظواهر جغرافية بارزة وما يتوفر فيها، من ظواهر حية أو جامدة كالضوء أو اللون فضلاً عن تنوع أشكال ونماذج الحيوان والنبات التي كان لها الأثر الكبير في التصوير الفني الذي استوحاه الشعراء من البيئة الأندلسية، فضلاً عن توافد البشر من كل فج عميق إلى الأندلس، ما أدى إلى إختلاط الاجناس بعضها بالبعض الاخر وتمازج اللغات فهذا كله بالتأكيد يؤدي إلى إثراء ثقافة الشاعر الأندلسي بصور

فنية جميلة كان لها الوقع البليغ في قلوب المتلقين واغناء تراث الأدب العربي بالقصص، والحكايات، والقصائد الشعرية التي نقلت عن الأندلس بالسنة شعرائها، وأدباءها، ومؤرخيها؛ لذا رغبت في دراسة أحد شعراء الأندلس الاعلام الذين انتموا إلى القرن الرابع الهجري إلا وهو الشاعر (يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي) منقباً في الظواهر الشعرية الفنية التي حواها ديوان شعره الصغير حجماً، والكبير محتوى، واضعاً دراستي تحت عنوان (البناء الفني في شعر الرَّمادي الأندلسي).

-**الوصف في شعر الرَّمادي**؛ أحمد محمود جانسيص، ٢٠٠٣م , مجلة جامعة البعث للعلوم الأنسانية، مقال مستخرج من رسالته الموسومة في الصورة في شعر الرَّمادي من ١٣٧ – ١٦٢؛تحدث المؤلف عن الوصف في رسالته التي كان عنوانها الصورة في شعر الرَّمادي وقد استخرج هذه المقالة منها ونشرت في مجلة الكلية نفسها وقد حاء المؤلف بأوصاف الرَّمادي معتمدا بذلك على ديوان الرَّمادي الذي جمعه ماهر جرّار وقد استشهد بهذه الأوصاف من شعر الرَّمادي معنى الوصف: وصف: وَصَفَ الشيءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصْفاً وصِفَةً: حَلَّاه، وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْوَاوِ، وَقِيلَ: الوَصْف الْمَصْدَرُ والصِّفَةُ الحِلْية، اللَّيْثُ: الوَصْف وَصْفُكَ الشَّيْءَ بحِلْيته ونَعْته. وتَوَاصَفُوا الشيءَ مِنَ الْوَصْفِ.[٥]وصف: الوصف: وصفُكَ الشيءَ بحِلْيته ونَعْته. ويقال للمُهْر إذا تَوَجَّه لشيءٍ من حُسْنِو السرعة،: قد وَصَفَ، معناه: إنَّه قد وَصَفَ المَشْيَ أي وَصَفَه لِمنْ يُريد منه، ويقال: هذا مُهْرٌ حين وَصَفَ.[٦] وَصَفْتُهُ وَصْفًا مِنْ بَابِ وَعَدَ نَعَتُّهُ بما فِيهِ وَيُقَالُ هو مأْخوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ وَصَفَ الثَّوبُ الْجِسْمَ إذا أَظْهَرَ وَبَيَّنَ هَيْئَتَهُ وَيُقَالُ الصِّفَةُ إنَّما هِيَ بِالْحَالِ الْمُنْتَقِلَةِ وَالنَّعْتُ بِمَا كَانَ فِي خَلْقٍ أو خُلُقَ وَالصِّفَةُ مِنْ الْوَصْفِ مِثْلُ الْعِدَةِ مِنْ الْوَعْدِ وَالْجَمْعُ صِفَاتٌ.[٧] وقال قدامة بن جعفر: (الوصف إنَّما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات)[٨]والوصف جزء من ورونق. أنسان، لأن النفس محتاجة إلى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل حقيقي، وتأديتها إلى التطوّر في الطريق السمع والبصر والفؤاد.[٩]وقد قال ابن رشيق في الوصف: (أصل الوصف الكشف والاظهار، ويقال: وصف الثوب الجسم إذا نمَ عليه، ولم يستره)[١٠] وأيضاً عرَف الوصف، حنا الفاخوري بإنَّه: (تمثيل الأشياء تمثيلا أيجابيا، وهو رسم لصورة الأشياء بقلم الفن والحياة)[١١] إنَّ الوصف هو من الأغراض الشعرية عرف في الأدب العربي ولم يبالغ ابن رشيق القيرواني في كتابه حينما قال عن هذا الفن: (الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه)[١٢] أمّا في تعريف أحمد الهاشمي يقول: الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضرب نعوته الممثلة له، وأصوله ثلاثة هي:

١. يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه.
٢. يكون ذا طلأوة ورونق.
٣. لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والاسهاب، والسرعة، كان مناسباً للحال.[١٣]

٤. وقد جاء في معجم المفصل في الأدب أن الوصف: (جزء طبيعي من منطق الأنسان، فالأنسان بطبعه ميّال إلى معرفة ما حوله من الموجودات، وتصويرها بالسمع والبصر والفؤاد)[١٤]

٥. الوصف بمعناه اللغوي أيضاً، فيما جاء عن ابن فارس في معجمه حيث قال: (وَصَفَ الناقة وُصُوفاً: إذا جادت السير، فهو من قولها للخادم: وصِف، وللخامة وصِفة)[١٥]

٦. ومنها ما قال عنه الزمخشري: (وقد كثر حتى قالوا: وَصَفَتْ الناقة وُصُوفاً: إذا أجادت السير، وَجَدَّتْ به. ويقال للمُهْرِ إذا توجه وأخذ في حسن السيرة: هذا مهر قد وَصَفْ، أي وصف الشيء واجاده)[١٦]

٧. الوصف بمعناه اللغوي: (هو التحلية والتجميل، يقال: وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً: حلاه وجمله، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة، وتواصفوا الكرم إذ أوصف بعضهم بعضا به، وقد اتصف جاره بالخلق الحميد إذا صار منعوتاً بين القوم به.[١٧]

٨. وأمَّا المعنى الحسي في كلمة وَصَفَ: حيث ورد بصفة إلاظهار، وهي معنى قديم، إنَّها اخذت من جهة إظهار حسن سيرة الناقة والمُهر وقد سبق التوضيح عنه.

٩. (ومن المجاز: وجهها يصف الحسن، وتقول: ولسإنَّه يصف الكذب)[١٨] أي أظهر الحسن وأظهر الكذب.

١٠. وسبق وأن قلنا أن الوصف مأخوذ من الإظهار حيث نجد عند ابن منظور في قوله: (وقوله في حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أن لم يسبق فإنَّه يصف، أي يصفها، يريد الثوب الرقيق، أن لم يبين منه الجسد، فإنَّه لرقته يصف البدن، فيظهر منه حجم الأعضاء، فشبه ذلك بالصفة، كما يصف الرجل سلعته)[١٩]

١١. وعندما نتطلع بالكتب والبحث عن معنى الوصف نجد أن العلماء قد تكلموا عنه بشكل موجز حيث نجد قول ابن فارس في الوصف: (الصفة: الأمَّارة الازمه بالشيء، كما يقال: وزنته وزناً، والزنة: قد الشيء)[٢٠]

١٢. وأمَّا ما جاء به قدامة ابن جعفر: (الوصف: إنَّما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر الوصف العشراء إنَّما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفا من أتى في شعره أكثر المعاني الموصوف بها مركبة فيها، ثم بإظهرها فيه، وأولاها حتى يحيكه بمثله للحسن بنعته)[٢١].

١٣. عندما أطلعتُ على عدة معاجم وأقوال العلماء والمصادر إذ نجد اغلبهم قد أتفق على معنى الوصف الحسي حيث إنَّه الاظهار، كما جاء في حديث عمر ابن الخطاب، ويقصد به الوصف أي وصف الجسد، وهذا عند ابن منظور، أمَّا ما وجدناه في كتاب الزمخشري، هو الوصف أيضا، وكذلك قدامة ابن جعفر، إلا ابن فارس في مقاييس اللغة قد اختلف عنهم وقد قال: إنَّه الأمَّارة الازمه للشيء.

١٤. الوصف كما عرفنا إنَّه أكثر الشعر فيه، وأنّي أذهب إلى قول عبد الجابر سعود محمود في فن الوصف قال: وهو عماد أكثر الالوان الشعرية وأساسها من هجاء ورثاء وغزل وفخر ومدح[٢٢] ومن هنا سأبين المراحل التي مرَّ بها الوصف، وأقسامه الذي قد شاع وبرز بين الشعراء ولا تجد شاعر إلا وقد كتب فيه.نبذة عن حياة يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي: وهو يوسف بن هارون الرَّمادي الشاعر[٢٣] أَبُو عمر[٢٤] القرطبي[٢٥] ويكنى أيضا بأَبي جنيش ثم نقل بعد ذلك إلى الرَّمادي[٢٦] الكندي[٢٧] وقيل يلقب بأَبي حنيش[٢٨] ومنهم من يلقبه بأَبي الرّماد[٢٩] ومنهم من يلقبه بأَبي سبيح[٣٠] وهو شاعر أشتهر عند العامة والخاصة وكثيرون من شيوخ الأدب كانوا يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة ويعنون بذلك أمرؤ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون[٣١] كان يوسف الرَّمادي من اشهر شعراء الأندلس في وقته، وأشتهر ابن يوسف الرَّمادي بشعر الهجاء وكان سريع البديهة ولذلك كان معروف عند العامة والخاصة، وسلوكه في الفنون مختلفة من المنظوم[٣٢] ومن هنا سأدرج بعض التفاصيل التي قد اتى بها العلماء في كتبهم والتي اعتمدتُ عليها في ذكر اسم ولقب يوسف بن هارون الرَّمادي، وكثرت إلاراء في لقب الرَّمادي ونسبته التي سأذكرها وسأذهب مع الصواب منها أو الاقرب إلى الصواب، وقال ابن بشكوال نقلا عن ابن المغيث: كان يلقب بأَبي جنيش فنقل إلى الرَّمادي[٣٣] أمَّا الحميدي فقال: يوسف بن هارون الكندي أَبُو عمر يعرف بالرَّمادي، أظن أحد آبائه كان من رمادة موضع بالمغرب[٣٤] وقد نقل ابن خلكان هذا الخبر عن الحميدي ثم أورد تعليق ياقوت عليه، فقال: وهذه النسبة إلى رمادة، قال ياقوت في كتابه الذي سمّاه (المشترك وضعا مختلف صقعا) في باب الرمادة: الرمادة عشرة مواضع، وعدها فقال: الثالث رمادة المغرب، ينسب اليها يوسف بن هارون الكندي القرطبي[٣٥] وقال الثعالبي في اليتيمة: (يوسف بن هارون البطليوسي)[٣٦] وأمَّا ابن سعيد فقد أورد عن الحجاري صاحب المسهب أن الرمادة من قرى شلب (SILVES) ولم نجد لها ذكراً في معجم البلدان[٣٧] وفي باقي المعاجم التي ذكرت الرّمادة في كتبها.

. **الخطافة**وعند انتهاء الشاعر من وصف الحمامة نراه ينتقل إلى وصف آخر، ويبدع فيه إذ أنّ الوصف في العصر الأندلسي كان زاخراً بالأوصاف الجميلة إذ إنهم وصفو كل ما تقع عليه أعينهم وأن الرَّمادي كان مولع بوصف الطيور حتى نراه الف كتاباً كاملا كله من أشعاره في وصف الطير وعلى هذا النحو سمى اسم ذلك الكتاب (كتاب الطير) عندما كان في السجن إلا أنني كما اشرت سابقا أن هذا الكتاب لم يصلنا شيءً منه وقد بحثت عنه في عدة دول ولم أجد أي مخطوط من هذا الكتاب، وأن صورة هذا الكتاب الموجود لا نعلم هل هي حقاً صورة (كتاب الطير) أم إنها فقط صورة وضعت لا أكثر، وفي حقيقة الأمر على ما يبدو لي إنها صورة غلاف لا أكثر ولا تعود لهذا الكتاب ولو كانت حقا تعود له لوجدنا مخطوط منه على أقل تقدير، وكما قال عنه الحميدي: (عمل في السجن كتاباً سمَّاه كتاب الطير في أجزاء، وكلّه من شعره، وصف فيه كل طائر معروف)[٣٨] ومن تلك الأوصاف التي جاء بها ابن هارون الرَّمادي في أشعاره وصف طائر الخطاف إذ قال عنها:

خُـطّـافَـةٌ سَبَّحتِ اللَّهَ ... بعجمةٍ يُفْهَمُ مَعْناها

مديدةُ الصوتِ إذا ما اِنْتَهَتْ ... لكنها تُدْمِجُ مبداها

كقـارئٍ إن تَـأتِه وِقْفَةٌ ... مـدَّ بهـا الصوَت وجلاَّهـا[٣٩]

مفردات اللغة:خُطَّافَةٌ: و (الخُطّافُ) طائر، يجمع على (خطاطيف)[٤٠] ومنه أيضا مخالب السباع (خطاطيفها)[٤١] وقد تقدم التفصيل في هذا الطائر في الفصل الرابع المبحث الأول وقيل العندليب وقيل هو الخفاش ألا إنه في الحقيقة طائر السنونو.سَبَّحْت الله: أصلها (سَبَحَ) وسَبَّحت الله تسبيحا وسُبحانا وقال ابن الفرج: سمعت أبا الجهم الجعفري يقول (سبَّحتُ في الأرض، وسَبَّختُ فيها) إذا تباعدت فيها. و (السَّبحُ) الاكثار من الكلام وقد (سَبَحَ) فيه، إذا أكثر[٤٢] ويراد بها الشاعر الاكثار من الكلام أي تغريد الطائر.بعجمةٍ: والعَجَمُ: خلاف العَرَبِ، الواحد عَجَمِيٌّ. والعُجْمُ بالضم: خلاف العُرْبِ. والأعجم الذي لا يفصح ولا يبيّن كلامه.[٤٣]

معنى البيت:يقول الشاعر يوسف الرَّمادي أن طائر الخطاف طويل التغريد، وأن تغريدها أعجمي أي بصوت غير عربي ولكن هذا الصوت نفهم نغماته و تغريداته إذ أن صوته يجلب الأسماع له.شبّه الشّاعر طائر الخطاف بإنسان أعجمي يتعبّد الله مسبّحاً إياه ولكنّه يفهم ما يقوله وفي هذا استخدام للاستعارة المكنية حيث حذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على شيءٍ من قرائنه وهو الكلام والإفصاح, ليعطي لهذا الطائر تشخيصاً مليئاً بالحركة, فهذه الأصوات التي يصدرها أثناء طيرانه وهبوطه هي تسبيحٌ في نظر الشاعر بلسان العجم.ويقول في البيت التالي:

مديدةُ الصَّوتِ إذا ما اِنتَهَت لَكنها تُدمجُ مبداها

مفردات اللغة:

مديدة: أصلها (مَدَدَ) و (المُداد) الطول، والواحد منها (مديد)[٤٤] والجمع منه جاء على الأصل (مُدُد) ومنه أيضا (مَديدةٌ) يقول: مديدة القامة أي طويلة القامة، ورجل مديد القامة أي طويلها.[٤٥] تدمج: دَمَجَ الأَمْرُ يَدْمُجُ دُمُوجاً: استقام. وأَمْرٌ دُماج ودِماج: مستقيم. وتَدامَجوا على الشيءِ: اجْتَمَعوا.[٤٦]

معنى البيت:يقول الشاعر في طائر الخطاف طويلة الصوت إذا انتهت منه أُدمجت صوت آخر معه لا تتوقف مستمرة في صوتها لهذا قال عنها مديدة الصوت أي طويلة الصوت.كرر حرف الدال أربع مرات وهو حرف مجهور شديد, يدل على معنى الشدة والفعالية والدحرجة والتحرك السريع, ويدل أيضاً على الظلام واللون الأسود, والمشيء البطيء هذه الصفات التي يدلّ عليها الحرف هي بالحقيقة صفات لطائر الخطاف يدلّ عليها فجاء تكراره في إيقاعٍ موسيقيٍّ أفاد المعنى التصويريّ وزاده براعةً.وفي البيت التالي نجده يصفها بالقارئ حين تأتيه مدَّ يمد الصوت بذلك إذ قال:

كَقارِئٍ إن تَأتِهِ وِقفَةٌ مدَّ بِها الصَّوت وَجَلاها

مفردات اللغة:الكاف: للتشبيه إذ شبه الشاعر صوت الخطافة بصوت القارئ حين يمد الصوت.تأته وقفة: هذا القارئ هو قارئ للآيات فعند الوقوف في نهايتها يمدّ الصوت.جلّاها: جلى يجلي جلاءً وجلياً. ومنه أيضاً جلى السّيف والفضّة والمرآة ونحوها جلاها، أي صقلها وأزال صدأها.[٤٧]

معنى البيت:شبه الشاعر صوت الخطاف بصوت قارئ القرآن حين يمر عليه مدّ في أثناء قراءته يمدُّ ذلك الصوت ويعطي حق ذلك المدّ. حذف الشاعر هنا المشبه (طائر الخطافة) وذكر المشبه به (القارئ) مصرّحاً به في استعارة تصريحية نقل فيه صورته الحسية السمعية إلى صورةٍ تشخيصية حركيةٍ منح فيها الكلام قوةً ووضوحاً وسعة خيال, فهذا الطائر في مدّ صوته كأنّه في ترتيلةٍ لآيةٍ تسبيحية يسبّح الله فيها في استكمال لما يريده الشاعر بدءاً من البيت السابق.

الحصيلة النهائية:يقول الشاعر انّي سمعت صوت طائر الخُطّاف، ومن جمال ذلك الصوت الأعجمي كدتُ أفهم ما يريد، وأن صوته جميل وطويل يمدّ صوته طويلاً حتى إذا ما انتهى من الصوت الأول تجده يدمج الصوت الثاني فيه، حتى شبّه صوتها بالقارئ حين يمدّ صوته عندما يأتيه مدٌّ فيمد صوته بذلك المدّ.كرر فيه حرف التاء أربع مرات دليل على معنى الرقة والضعف, وعلى الصوت أيضاً في التأتأة (كصوت العجم) وهو مناسب دلالياً للمعنى الذي يدور حوله البيت الشعري المذكور.

ثانيا طائر أم الحسن:ويرى الباحث أن الرَّمادي يتحول من وصف طير إلى وصف طير آخر، وليس هذا فحسب بل نراه يبدع بهذا الوصف، فقد شاهدناه كيف وصف الحمامة بذات الطوق وكيف وصف الخطاف بذات الصوت المديد الطويل، ونراه يتحول إلى طير اخر إلا وهو (أم الحسن) و (أم الحسن طائر معروف عند المشارقة باسم الحسون ويطلق عليه أهل الأندلس ابا الحسن)[٤٨] وقد تقدم التفصيل بهذا الطائر في الفصل الرابع المبحث الأول، والآن نأتي بكامل القصيدة التي وصف بها طائر الحسون إذ قال عنها:

وخرساءَ الا في الربيع فإنها نظيرةُ قُسٍّ في العصور الذواهبِ

أَتتْ تمدحُ النّوارَ فوق غصونها كما يمدحُ العشاقُ حُسْنَ الحبائبِ

تُبدِّلُ أَلحانا إذا قيل بدِّلي كما بَدَّلَتْ ضرباً أَكفُّ الضواربِ

تُغَنّي علينا في عروضين شعرَها ولكنَّ شعراً في قوافٍ غرائبِ

إذا ابتدأت تنشدكَ رجزاً وإنْ تَقُل لها بَدِّلي تُنْشِدْكَ في المتقاربِ

وليس لها تيه الطُّراءِ بصوتها ولكن تُغَنّي كلَّ صاحٍ وشاربِ[٤٩]

- **البيت الأول:**

وخرساءَ الا في الربيع فإنها نظيرةُ قُسٍّ في العصور الذواهبِ

مفردات اللغة:خرساء: أصله (خَرِسَ) والجمع منه (خُرْسٌ) وخرس الإنسان خرساً أي منع من الكلام خِلقةً فهو أخرس والأنثى يطلق عليها (خَرْسَاءُ)،[٥٠] و (الخرْسَاءُ) هي التي لا يسمع لها صوت.[٥١] قسّ: راهب. والقَسُّ تتبُّع الشيء وطلبه. وتَقَسَّسْتُ أصواتهم بالليل، أي تسمَّعْتها. والقَسُّ: النميمةُ. والقَسُّ أيضاً: رئيسٌ من رؤساء النصارى في الدين والعلم.[٥٢]الذواهب: المنقضية

معنى البيت:يصف الشاعر أم الحسن بالطيور الخرساء التي لا يصدر صوتها إلا في فصل الربيع إذ إنها لا تصدر أصوات في باقي الفصول من السنة وعندما يحل عليها فصل الربيع تراها تغرد كالخطيب في كل نوع من اصواتها المتنوعة.شبه الشاعر هذا الطير في الشطر الأول بالخرساء في استعارة تصريحية صرح فيها بالمشبه به ووجه الشبه انقطاع صوته في جميع الفصول إلى في فصل الربيع.وفي الشطر الثاني يشبه الشاعر طائر أم الحسن بالقس (الراهب) في استعارة تصريحية صرح فيها بالمشبه به وحذف باقي عناصر التشبيه وما يدلّنا على وجه الشبه هو مناسبة البيت في الخرس قبل الربيع أي في تراتيل هذا القس وصوته النغمي أوقات الصلاة في العصور القديمة.كرر الشاعر في ضبط إيقاع هذا البيت حرف الألف (أربع مرات) وهو حرفٌ نوراني النشأة يدلّنا على تراتيل هذا القس الذي استعار الشاعر لازمته الغنائية في صلاته ليصف لنا تغريد الطائر, كما كرر حرف الواو (ثلاث مرات) وهو حرف العطف الذي يجمع بين الأشياء فيفيد المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه.ويقول في البيت التالي:

أَتتْ تمدحُ النّوارَ فوق غصونها كما يمدحُ العشاقُ حُسْنَ الحبائبِ

مفردات اللغة:أتت: أته يأتيه أتا، أي غلبه بالحجة[٥٣] ومنه يقال أتت المرأة أي جاءت و (أتت) بمعنى جاءت. النّوار: (النّور) نور الشجر، والجمع منه (أنوار) والواحدة منها (نُوَّارة) وقد نوّرت الأشجار تنويرا، وإذا أخرجت أزهارها و (التنّوير) وقت إسفار الصبح، يقال قد نور الصبح تنويراً[٥٤].الحبائب: وهنا يريد بها الحبايب, و(حبائب): جمع حبيبة فإذا قيل: الأحباب: فهو جمع حب وأصله للمذكرين وقد استعملت في الشعر (الأحباب) في معنى (الحبائب) وذلك جائز إذا جعلوا واقعاً على الشخص.[٥٥]

معنى البيت:جاءت أم الحسن تمدح الأشجار أي تغرد عليها بعد ان أخضرت إذ إنها تقف على اغصانها. وتسمع تغريدها الجميل الذي لا يخرج إلا عندما تنور الأشجار أي تخضر أوراقها وأغصانها ولذلك شبهها الشاعر بالعشّاق حين يمدح العاشق حبيبته إذ قال (كما يمدح العشاق حسن الحبائب). شبه الشاعر في بداية شطره الأول هذا الطائر (أتتْ) بشاعرةٍ خطيبةٍ جاءت تمدح أزهار الأشجار في استخدامه للاستعارة المكنية حيث حذف المشبه به (الشاعرة) ودلّ بشيء من قرائنها وهو المدح ليعبّر لنا من جديد عن فهمه مراد تغريد هذه الطيور في مدح الأزهار على فروع الأشجار.هذه الصورة شبهها الشاعر أيضاً بصورة عاشقٍ يمتدح حسن أحبابه, وفي ذلك تشبيه تمثيلي شبّه فيه صورةً بصورةٍ مستخدماً جماليات الصورة التشبيهية في التعبير عن حقيقة الموقف الشعوري الذي يقفه ذو صلةٍ قوية بوجدانه.وفي البيت التالي يقول:

تُبدِّلُ أَلحاناً إذا قيل بدِّلي كما بَدَّلَتْ ضرباً أَكفُّ الضوارِبِ

مفردات اللّغة:الضوارب: أصله (ضَرَبَ) و (الضّرْبُ) يقع على جميع الأعمال. والطير الضَوارِبُ المخترقات الأرض، والطالبات الرّزق.[٥٦]

معنى البيت:أن طائر أم الحسن يبدّل صوته كلما سمعت صوت آخر أي إنّها تردّد أصوات ما تسمع من حولها، والسبب في ذلك لسكوتها طوال هذه المدّة. وبدلت ضرباً أكف الضوارب أي إنها تبحث عن رزقها أثناء ما تغرّد تنزل إلى الأرض تم تعود إلى أغصانها باحثةً عن رزقها.

يشبه الشاعر تبديل صوت طائر أم الحسن في تنقلها بين الألحان من لحنٍ إلى آخر عند الطلب منها, بتبديل أكف الضارب في الأرض بحثاً عن رزقه وفي هذا تشبيهٌ تمثيلي شبه فيه الصورة بصورة معتمداً على المعنى التصويري في إيصال الصورة وليس المعجمي فقط حيث أضفى عليها

إيحاءات زادت من بلاغية الصورة وحسنها.وفي إيقاع البيت الموسيقي نجد تكرار كلمة (تبدل – بدلي – بدّلت) حاملة معها حرف الدال بما يحمله من معاني الدحرجة والتحرك السريع في دليلٍ على رشاقة هذا الطائر في التبديل بن الألحان, وإطرابه أسماع الحاضرين.وفي البيت التالي يقول:

تُغَنّي علينا في عروضين شعرَها ولكنَّ شعراً في قوافٍ غرائبِ

مفردات اللغة:عروضين: وهي من سمات البحر الشعري كبحر الوافر فله عروضين غرائب: أصله (غَرَبَ) والجمع منه (غَرَائِبْ) والانثى (غَرِيْبَةٌ).[٥٧] قوافٍ: جمع قافية: وهي آخر كلمة في البيت الشعري بعد الساكن الأخير.

معنى البيت:يقول ابن هارون الرَّمادي تُغَنّى علينا أي تسمعنا أصواتها الجميلة وأن هذه الأصوات كأنها شعر منظوم في العروض إلا أن هذا الشعر في قوافي غريبة أي أنها لا تفهم من هذا الشعر شيئاً.شبه الشاعر تغريد هذا الطائر بالغناء حيث حذا المشبه (طائر أم الحسن) وذكر المشبه به مصرحاً به (تغني) وهو ليس غناءً عبثياً بل منظوماً على بحور الشعر ولكنّ قافيته الغريبة جعلته مبهماً على من لا يفهمه, فغناء هذا الطائر بديعٌ منتظم على بحر الوافر يطرب الأسماع ولكنّه غريب على الأسماع لا يُفهم كرر الشاعر في هذا البيت كلمة (شعر) مرتين (شعرها – شعراً) وفي ذلك انعكاسٌ لذوقه الشعري فقصائده منظومة مقفاة, وهي استمرارٌ للشعر الموزون مشبعٌ بالصور والأساليب البلاغية فجعل من هذا الطائر ليُظهر حسن تغريده شاعراً ينظم قصائده مثله على الوزن والقافية وإن كانت غريبة القافية؟كما كرر حرف العين (ثلاث مرات) وهو حرف مجهور مخرجه من وسط الحلق بين الشدة والرخاوة, يرمز للمفاجأة والدهشة, ورمز للجمال والتميز.وفي البيت التالي يقول:

إذا ابتدأت تنشدكَ رجزاً وإنْ تَقُل لها بَدِّلي تُنْشِدْكَ في المتقاربِ

مفردات اللغة: رجزاً: أي تفعيلات الرجز التي قصدها الشاعر وهي كالآتي:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن[٥٨]

المتقارب: وهو ضرب من العروض وتفعيلاته كالاتي:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن[٥٩]

معنى البيت:يقول الشاعر في طائر أم الحسن من جمال صوتها إذا بدأت تنشدك بالرجز ولكن سرعان ما تبدّل وتنشدك بالمتقارب وهذا يدل على أنّ صوتها يتغير بين حين وآخر إذ أن صوتها يكون قصيراً وطويلاً، ليس مقتصراً على صوت واحد بل هو متنوع الأصوات.رشاقة هذا الطائر باديةٌ وإتقانه فنّ الغناء أيضاً فهي تمتلك الإتقان لتنتقل من لحنٍ إلى آخر كما ينتقل الشاعر في نظم قصائده من بحرٍ إلى بحرٍ آخر وهنا نلمس التشبيه التمثيلي حيث شبه صورة تنقلها بين الألحان لتخرجها منتظمةً حسنة بصورة الشاعر الذي يتنقل بين بحوره الشعرية لينظم قصائده المتنوعة المقفاة الموزونة وهنا منحها صورة الشاعرة الماهرة في تشخيصٍ مستمر يجعلنا نعيش معهما هذه الجمالية والصورة الحسنة الرقيقة.ثم ينتقل إلى بيت اخر من أبيات القصيدة التي وصف بها طائر الحسون إذ قال عنها:

وليس لها تيه الطُّراءِ بصوتها ولكن تُغَنّي كلَّ صاحٍ وشاربِ

مفردات اللغة:الطّراء: أصله (طَرَأَ) و (الطّراءُ) هم الغرباء الذين يأتون من مكان بعيد[٦٠] ويقال طرأ علينا فلان من الناس أي جاء من بلد بعيد فجأة، وهو طارئ، وهو أيضا من الطّراء[٦١]. صاحٍ: وهو الصاحي أي الذي لم يشرب بعد شراب السكر.شاربٍ: وهو من شرب الخمر.

معنى البيت:ولعل الرَّمادي يقصد بهذا البيت المغنين الوافدين على الأندلس أمثال زرياب وأبنائه وبناته في عصر سابق[٦٢] والطّراء كما قلنا هم الغرباء الذين يأتون من مكان بعيد ويقصد بها الناس الذين أتوا من مكان بعيد. ولكن يرى الباحث أن يوسف بن هارون لم يكن يقصد المغنين الغرباء الذين اتوا من مكان بعيد، بل أنَّما قصد طائر أم الحسن التي جاءت غريبة وصوتها غريب يغيب طول فصول السنة ينتظر بزوغ الربيع لكي يظهر ويغرد من جديد ولهذا قال عنها (الطّراء)والشاعر هنا يُشعرنا أمام هذه الشاعرة البليغة بأنّها لا تضيع بين ألحانها كما يتيه الغرباء في ديارٍ ليست ديارهم, وإنما تطربك بألحانها فتنقلك إلى حالةٍ من السكر رغم أنّك صاحٍ لم تشرب ما يقودك إلى ذلك, في صورة تشبيهية شبّه فيها أثر الأنغام على المتلقّي لتجعله في دنيا الشراب بحضور المغنية, وهنا الإشارة الأندلسية لانتشار مجالس الغناء في البلاد ولكن هنا المغنية هي طائر أم الحسن والشراب هو روعة ألحانها وآثارها في أسماع المتلقين.وماتكرار حرف الهاء المهموس الذي يدل على الاهتزاز والاضطراب والألم والحزن, أوحت معانيه تلك في التيه ولكن الحمامة لا تعاني من ذلك بل تنتقل من حالةٍ إلى أخرى.

الحصيلة النهائية:المعجم الدلالي للكلمات المستخدمة نجد ما يدل على أنَّ الشاعر جعل هذا الطائر ناطقاً من خلال الكلمات (خرساء – تنشدك – تمدح – تغني – صوتها) ولموسم الغناء دلائله أيضاً (الربيع – النوار – غصونها) ولجو المحبة اختار كل من (العشاق – الحبائب – يمدح)

وفي هذا الجوء يحلو الغناء فيختار (ألحاناً – أكف — شعر – تغني – صوتها –) وللحركة والحيوية دلالتها أيضاً (تيه – الطراء – صاح – شارب) وللروحانية السائدة نجد (قس – حُسنَ – شارب)بعد أن أكملنا المفردات ومعنى الأبيات, نأتي الآن ونوضح الحصيلة النهائية للقصيدة التي جاء بها ابن هارون الرَّمادي إذ أن يوسف قد قصَّ علينا أقصوصة جميلة، من أبياته المحبوكة، وموزونة بعروضها ووزنها وقافيتها، وهي حكاية جميلة وصف طائراً جميلاً في تغريده اسمه أم الحسن ويطلق عليه الحسون وأبو الحسن، وذلك الطائر الذي وصفه الشاعر بالخرس أي إنه لا يغرد إلا في فصل الربيع حين تزهر الأشجار إذ تراه يقلد أصوات كثيرة ومتنوعة وفيها من الجمال بين أن تمد صوتها وبين أن تقصره، حتى قال عنها الرَّمادي تنشدك في الرجز وتبدل إلى المتقارب، وأن صوتها المتنوع فيه من التطّريب ما يعجب السامع وفيها من الاسلوب الجميل تتوإلى عليه الأفكار بشكل جميل ورائع، وكل هذه الأبيات هي عبارة عن حكاية طائر أم الحسن التي ابدع بوصفها الشاعر.[٦٣] وعند قراءتي لشعر الشاعر، وتتبع الأوصاف التي وصفها والتي وصف بها الطيور نجد إنه مولع بالطيور وقد وصفها وكأنه يصف حبيبته وينتقل من وصف طائر إلى وصف آخر، وبعد تتبع وصف الطير نجده يعود مرةً اخرى إلى أم الحسن التي لا تكاد تفارق شعره ومن تلك الأبيات التي وصف بها طائر الحسون:

مُسْمِعَةٌ من غيرِ أوتَارِ الا ارتجالاً فوقَ أَشْجارِ
يقترحُ الناسُ عليها وما يقترحُ الناسُ على الطاري
تُبدلُ إنْ قيل لها بَدِّلي طائعةً من غيرِ إصْغَارِ
كإنها في حين تبديلها تأخذ في أَهزاج أشعار
عاشقة النّوارِ ما أَقبلتْ الا بها آثارُ نُوَّارِ[٦٤]

البيت الأول:

مُسْمِعَةٌ من غيرِ أوتَارِ الا ارتجالا فوقَ أَشْجارِ

مفردات اللغة:مسمعة: أصله (سَمَعَ) ويقال سمعته وسمعت به، أي أستمع إلى الحديث، ومنه أيضا ملأ مسمعيه، وسمع به، وغنتهم مسمعة ومسمعات، أي أسمعتهم.[٦٥] أوتار: ما يستخدم في العزف عليها من آلات موسيقية.

معنى البيت:قال ابن هارون في أم الحسن (مسمعة) أي أن صوتها مسموع قد سمعوا صوتها الجميل وهي تلحن من غير أوتار إذ تجدها واقفة على الأشجار تنشدك أصواتاً رائعة دون أن يلقنها أحد ارتجالا.يشبه الشاعر طائر أم الحسن بالمغنية التي تُسمع ألحانها من غير آلاتٍ موسيقية, وكأنّها ترتجل ألحانها ارتجالاً, وهنا تشبيهٌ تمثيلي شبه صورة هذا الطائر في ألحانه بصورة المغنية من غير آلاتٍ موسيقية, وكالشاعرة التي ترتجل قصائدها ارتجالاً فوق المنصة فتطرب الحاضرين الذين يستمعون إليها. مكرراً حرف الراء (أربع مرات) وفي دلالته على الترجيع والحركة فهو حرف متوسط الشدة والرخاوة من المعاني التي يدلّ عليها بالإضافة إلى الرقة والنضارة والرخاوة والتكرار في الصوت.والدلالة الصوتية نجدها في الكلمات (مسمعة – أوتار – ارتجالاً) ليشعر القارئ كأنه يسمع صوتها عند القراءة.ثمَّ ينتقل إلى البيت الاخر فيقول فيه:

يقترحُ الناسُ عليها وما يقترحُ الناسُ على الطاري

مفردات اللغة:يقترح: يقال اقْتَرَحْتُه واجْتَبَيْتُه وخَوَّصْتُه وخَلَّمْتُه واخْتَلَمْتُه واسْتَخْلَصْتُه واسْتَمَيْتُه، كلُّه بمعنى اخْتَرْتُه؛ ومنه يقال: اقْتَرَحَ عليه صوتَ كذا وكذا أَي اختاره.[٦٦]طاري: يقال رجلٌ طاريٌّ وطورانيٌّ أي غريبٌ[٦٧] وقد يأتي بمعنى الرغبة أو الذكر.

معنى البيت:الشاعر هنا يصف حال نفسه فيقول يسمعون أم الحسن ويقولون لها أصوات لكي تقلدهم ولا أحد يقترح عليَّ أنشدهم شيئاً فكأني غريب في هذه الدياريكرّر الشاعر المفردة (يقترح) مرّتين في هذا البيت في محاولةٍ لتبيان عجز الناس عن تقليدها وبيانِ براعة تغريد هذا الطائر, لتختار لهم صوتاً يسمعونه ولكنها تذكر كل شيء فلا مجال لتذكيرها.والفعل يقترح يحمل معنى تقديم فكرة أو رأي بين طرفين يتشاوران في أمرٍ ما وهو المعنى اللغوي للمفردة ولكن هنا لا يدلنا على ذلك وإنما نجده مجازاً استخدمه الشاعر ليعبر عن مشاركة الناس وتفاعلهم مع هذا الطائر وتوقّعهم اللحن القادم الذي ستصدره.وحرف الحاء الذي تكرر مرتين بدلالته على الحب والحُسن, وحالة الألفة التي تسود بين الحاضرين.وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف حال أم الحسن الطائعة المقلدة لهم فيقول:

تُبدلُ إنْ قيل لها بَدِّلي طائعةً من غيرِ إصْغَارِ

معنى البيت: مثلما نعلم أن أم الحسن لا تغرد إلا في فصل الربيع، فهي هنا تقلد الأصوات التي حولها، فيصفها الشاعر بالمطيعة أي تبدل صوتها عند سماع أي صوت إذ قال تبدل أن قيل لها بدلي طائعة من دون أي إصغار.كرر الشاعر كلمة (تبدل – بدلي) مرتين في دلالة على القدرة التي تمتلكها هذه العصفورة ورشاقتها في التنقل بين الألحان, لتطرب الحاضرين وتسمعهم أجمل ألحانها فتشخصيها الذي وهبها إياه الشاعر وكأنها مغنية تطيع طلب من يستمع إليها, مع رفعةٍ وعلو فلا تقترب من موقعهم وإنما تحافظ على بقائها في أعلى الأغصان, كما تكرر حرف اللام في إيقاع هذا البيت أربع مرات وهو حرف مجهور متوسط الشدة, يدل على التماسك والالتصاق وعلى التذوق, دلالته الحدة والقطع.

ثم يتابع الشاعر في وصف أم الحسن قائلاً:

كأنها في حين تبديلها تأخذ في أَهزاج أشعار

مفردات اللغة:تبديلها: انتقالها في اللحن من لحن إلى آخر أهزاج: أصله (هَزَجَ) والجمع هزج (أهزاج) والهزج مذّ الصّوت في الترنّم، وسمي هزج الشعر لترنمهم كان فيه[٦٨] و (الهَزَجُ) صوت مطرب وقيل هو صوت فيه بحح محركة وقيل صوت دقيق مع ارتفاع.[٦٩] أشعار: قصائد. والشِّعْرُ القَرِيضُ المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أَشعارٌ، وقائلُه شاعِرٌ لأَنه يَشْعُرُ مالا يَشْعُرُ غيره أَي يعلم.[٧٠]

معنى البيت:يقول ابن الرَّمادي حين تبدّل صوتها أي أم الحسن، أحسّ كأنّها تأخذ من صوت أشعاري أي كأني أسمع صوت أشعاري تغني به أم الحسن وتمدُّ الصوت بهذه الأشعار. يشبه الشاعر صورة أم الحسن في تنقلها بين ألحانها بصورة شاعرةٍ تترنّم بأشعارها وفي ذلك تشبيهٌ تمثيلي, جعل من هذه العصفورة شخصاً نستطيع تخيل حركاته وغنائه رابطاً بين أطراف التشبيه مضفياً على كلماته القوة التصويرية.مكرراً حرف الألف في إيقاع هذا البيت ثماني مرات وهو حرفٌ منفتح نوراني المنشأ يدل على الدهشة بجمال هذه المغنية البارعة التي تطرب من حولها, كما كرر حرف الهاء ثلاث مرات وهو حرف مهموس يدل على الهدوء والرفاهية التي يعيشها من يجلس في مجالس الغناء لهذه العصفورة.ثمَّ ينتقل إلى البيت الاخر يصف أم الحسن العاشقة للأزهار المتفتحة التي تزهُر في الربيع إذ قال عنها:

عاشِقة النّوارِ ما أَقبلت الا بِها آثارُ نُوّارِ

مفردات اللغة:النَّوار: هو نور الشجر، والجمع منه (أَنوار) والواحدة منها (نُوَّارة) وقد نوّرت الأشجار تنويراً، إذا أخرجت ازاهيرها، و (التنّوير) وقت إسفار الصبح، ويقال قد نور الصبح تنويراً.[٧١]

معنى البيت:أن أم الحسن تعشق الأزهار المتفتحة إذ قال عنها (عاشقة النّوار) أي عاشقة الأزهار والنّوار هو نور الشجر أي اخضرار الأشجار (إلا بها آثار نُوَّارِ) أي أن ريشها الوانه كألوان الشجر من كثرة وقوفها عليه. عاشقة النوار: (عاشقة) كناية عن صفة أم الحسن في حبّها و(النوار) كناية عن فصل الربيع استخدمها الشاعر ليحرّك ذهننا ويصاعِفَ فعالية مراده من كلامه, ومن ثمّ إمتاع المتلقّي أو القارئ عند الكشف عمّا يريد فهذه العصفورة هي عاشقةُ فصل الربيع حيث أعلَمنا سابقاً أنَّها تشدو عند قدومه فقط.ودل على ذلك تكرار كلمة نوار مرة أخرى (آثار نوار) في هذا البيت وربطه بقدوم هذه العصفورة (ما أقبلت) دليل على قدوم فصل الربيع, وقدومها لتبدء التلحين والغناء فوق أغصان أشجاره المزهرة.فتعلق القلب بهذا الفصل حمل دلالته تكرار حرف القاف مرتين وكذلك حرف الراء الدال على التكرار والترجيع, والرقة والنضارة.

الحصيلة النهائية:

مُسْمِعَةٌ من غيرِ أوتَارِ الا ارتجالاً فوقَ أَشْجارِ

يقترحُ الناسُ عليها وما يقترحُ الناسُ على الطاري

تُبدلُ إنْ قيل لها بَدِّلي طائعةً من غيرِ إصْغَارِ

كإنها في حين تبديلها تأخذ في أَهزاج أشعار

عاشقة النّوارِ ما أَقبلتْ الا بها آثارُ نُوَّارِ[٧٢]

الحقل الدلالي للكلمات نجد في الحقل الموسيقي مفردات (مسمعة – أوتار – ارتجال – أهزاج – أشعار) وفي حقل الطبيعة (أشجار – النوار – آثار) وهي إرادة لشاعر في موضوع قصيدته الذي يرسم فيه ألحان هذا العصفور في أحضان فصل الربيع.إنَّ الشاعر يوسف بن هارون يقصُّ علينا قصة طائر الحسون الذي لا يغرد إلا في فصل الربيع إذ الشاعر وصفها في قصيدة بأنها خرساء وفي قصيدة اخرى وصفها بالمسمعة المغنية، التي تصدر أصوات جميلة وتغير بصوتها الجميل من صوت إلى اخر من غير أوتار إذ إنها تقف على الأشجار مترجلة يقترح عليها عدة أصوات فتنطقها مثل ما هي بصوت جميل بدون تردد وبعد ذلك يعود فيقول احس أن هذا الطائر في تغريده يأخذ من لحن شعري أي كأني انشدها من شعري فتردد بعدي، وأن هذا الطائر يحب الأزهار والأشجار المتفتحة إذ يعشق الأشجار حتى ترى في ريشه اخضر اللون.

الخاتمة:

–إذ أن الوصف في العصر الأندلسي كان زاخرا بالأوصاف الجميلة إذ إنَّهم وصفو كل ما تقع عليه اعينهم وأن الرَّمادي كان مولع بوصف الطيور حتى نراه الف كتاب كاملاً كله من أشعاره في وصف الطير.–نجد إنَّه مولع بالطيور وقد وصفها وكإنَّه يصف حبيبته وينتقل من وصف طائر إلى وصف اخر، وبعد تتبع وصف الطير نجده يعود مرةً أخرى إلى أم الحسن التي لا تكاد تفارق شعره.–يقول الشاعر يوسف الرَّمادي ان طائر الخطاف طويل التغريد، وان تغريده اعجمي أي بصوت غير عربي ولكن هذا الصوت نفهم نغماته و تغريدا ته إذ ان صوته يجلب إلاسماع له. –يصف الشاعر أم الحسن بطائر الخرساء التي لا يصدر صوتها إلا في فصل الربيع إذ إنَّها لا تصدر أصوات في باقي الفصول من السنة . وعندما يحل عليها فصل الربيع تراها تغرد كالخطيب في كل نوع من أصواتها المتنوعة.–أن طائر أم الحسن يبدل صوته كلما سمعت صوت اخر أي إنَّها تردد أصوات ما تسمع من حولها، والسبب في ذلك لسكوتها طوال هذه المدّة. وبدلت ضربا أكف الضوارب أي إنَّها تبحث عن رزقها أثناء ما تغرد تنزل إلى الأرض تم تعود إلى أغصانها باحثتا عن رزقها.–نفهم مما تقدم من ذلك ان ابن هارون كان مولع بوصف الطيور، حتى تراى انه يعشقها وعرى في شعره محبوبته من الطيور، تكاد لا تميز هل هذه حبيبته ام هذا طائر يتغزل به .

المصادر والمراجع

١.ابن السيدة، الحسن علي إسماعيل. (١٩٦٩م). المخصص. تحقيق خليل إبراهيم جفّال. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢.ابن بشكوال، أَبُو قاسم خلف بن عبدالملك. (١٩٥٥م). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس. عني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني. مكتبة الخانجي.

٣.ابن جني الموصلي، أَبُو الفتح عثمان. (١٩٨٧م). العروض. تحقيق أحمد فوزي الهيب. الكويت: دار القلم.

٤.ابن خلكان، أَبُو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أَبي بكر. (١٩٩٤م). إلاعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

٥.ابن دريد، أَبُو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي.(١٩٨٧ م). جمهرة اللغة. تحقيق رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.

٦.ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩م). مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر

٧.ابن مرّار, أَبُو عمرو بن مرّار الشيباني بالولاء. (١٩٧٤ م). الجيم. تحقيق إبراهيم الأَبياري. راجعه محمد خلف أحمد. القاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية

٨.ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٩.الازهري الهروي، محمد بن أحمد. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: دار أحياء التراث العربي.

١٠.الأندلسي، أَبُو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغربي. (١٩٥٥م). المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف.

١١.البغدادي، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد. (١٣٠٢هـ). أَبُو الفرج. نقد الشعر. قسطنطينية: مطبعة الجوائب.

١٢.التونجي، محمد. (١٩٩٩م). المفصل في الأدب. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣.جاسم، « اتجاهات القصص في شعر الرَّمادي يوسف بن هارون»

١٤.الحموي، شهاب الدين أَبُو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي. (١٩٩٣م). معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١٥.الحميدي، أَبي عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله. (٢٠٠٨م). جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. حققه وعلق عليه. بشار عوّاد معروف. محمد بشار عوّاد. تونس: دار الغرب الإسلامي.

١٦.الذهبي، شمس الدين أَبُو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز (د. ت). العبر في خبر من غبر. تحقيق أَبُو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧.الذهبي، شمس الدين أَبُو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز. (١٩٩٣م). تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير وإلاعلأم. تح. عمر عبدالسلام التدمري. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٨.الرفاعي، مصطفى صادق. (١٩٧٤م). تاريخ آداب العرب. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٩.الرَّمادي. (١٩٨٠م). شعر يوسف بن هارون. جمعه وقدم له ماهر زهير جرّار. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٠.الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أَبُو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي. تاج العروس من جواهر القأموس. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.

٢١.الزمخشري، جار الله. (١٩٩٨م). أساس البلاغة. أَبُو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. تحقيق محمد باسل عيون السود.: دار الكتب العلمية.

٢٢.الطيب، أَبُو عبدالله محمد بن الحسن الكنأنّي. (١٩٨١م). التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. تحقيق إحسان عباس: دار الشروق.

٢٣.عباس، إحسان. (١٩٦٠م). تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة). بيروت: دار الثقافة.

٢٤.عبد الجابر، سعود محمود. (١٩٨١م). الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٥.العسكرى، أَبُو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. بدون تاريخ طبع. حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم. مصر. القاهرة. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

٢٦.الفاخوري، حنّا. (١٩٨٦م). تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار الجيل.

٢٧.الفارأَبي، أَبُو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار. بيروت: دار العلم للملايين.

٢٨.الفراهيدي البصري، أَبُو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو تميم. (١٧٠هـ). العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السأمرائي

٢٩.الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (د. ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.

٣٠.قناوي، عبد العظيم علي. (١٩٤٩م). الوصف في الشعر العربي. مصر: مطبعة مصطفى البباني الحلبي.

٣١.القيرواني الازدي، أَبُو على الحسن بن رشيق. (١٩٨١م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. دار الجيل.

٣٢.مختار، أحمد. (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة. بمساعدة فريق عمل و عالم الكتب.

٣٣.المصري، محمد عبدالله عنان المؤرخ. (١٩٩٧م). دولة الإسلام في الأندلس. مصر: مكتبة الخانجي.

٣٤.النيسابوري، أَبي منصور عبد الملك الثعالبي. (١٩٨٣م). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٥.الهاشمي، أحمد. (١٩٦٥م). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. مصر: مطبعة السعادة.

هوامش البحث

[١] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٧٠

[٢] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٧٠

[٣] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٧٢

[٤] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٧٢

[٥] ابن منظور، لسان العرب: ج٩، ص٣٥٦

[٦] الفراهيدي البصري، العين: ج٧، ص١٦٢

[٧] الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج٢، ص٦٦١

[٨] ابن فارس، مقاييس اللغة: ص١٣٠

[٩] الرفاعي، تاريخ آداب العرب: ج٣، ص١١٩

[١٠] القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ج٢، ص٢٩٥

[١١] الفاخوري، تاريخ الأدب العربي: ص٤١

[١٢] القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ج٢، ص٢٩٤

[١٣] الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: ج١، ص٨٨

[١٤] التونجي، المفصل في الأدب: ج٢، ص٨٨٤

[١٥] ابن فارس، مقاييس اللغة: ج٦، ص١١٥

[١٦] الزمخشري، أساس البلاغة: ج١، ص٣٣٨؛ عسكرى، الفروق اللغوية: ص٢٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج٦، ص٤٩٤٨؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٦، ص٣٦٦

[١٧] قنأوي، الوصف في الشعر العربي: ج١، ص٤

[١٨] الزمخشري، أساس البلاغة: ج٢، ص٣٣٨

[١٩] ابن منظور، لسان العرب: ج٦، ص٤٨٠

[٢٠] ابن فارس، مقاييس اللغة: ج٦، ص١١٠

[٢١] البغدادي، نقد الشعر: ص١٣١-١٣٠

[٢٢] عبد الجابر، الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني: ص٣٣٩

[٢٣] ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ج١، ص٦٣٧؛ الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٦٩؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة): ص١٥٥؛ الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ج٧، ص٣٢٦١

[٢٤] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٢٧٣؛ الأندلسي، المغرب في حلى المغرب: ج١، ص٣٩؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة): ص١٥٥

[٢٥] المصري، دولة الإسلام في الأندلس: ج١، ص٧٠٢؛ الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ج٧، ص٣٢٦١

[٢٦] الطيب، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: ص٣١٥؛ المصري، دولة الإسلام في الأندلس: ج١، ص٧٠٢؛ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ص٦٣٧

[٢٧] الأندلسي، المغرب في حلى المغرب: ج١، ص٣٩٢؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة): ص١٥٥

[٢٨] الذهبي، العبر في خبر من غبر: ج٢، ص٢٠٧

[٢٩] الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام: ج٢٨، ص٩٣

[٣٠] النيسأَبُوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ج٢، ص١١٤

[٣١] ابن خلكان، الاعيان وأنباء أبناء الزمان: ج٧، ص٢٢٥

[٣٢] المصري، دولة الإسلام في الأندلس: ج١، ص٢٠٧

[٣٣] ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ص٦٣٨؛ ابن خلكان، الاعيان وأنباء أبناء الزمان: ج٧، ص٢٢٥

[٣٤] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٦٩

[٣٥] جرار، شعر الرَّمادي: ص١٩- ١٨

[٣٦] النيسأَبُوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ج٢، ص١٣

[٣٧] جرار، شعر الرَّمادي: ص١٩

[٣٨] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص٣٧٢

[٣٩] جرّار، شعر الرَّمادي: ص١٣٤

[٤٠] الفراهيدي البصري، العين: ج٤، ص٢٢١

[٤١] الجواهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج٤، ص٢٣١

[٤٢] ابن مرّار, الجيم: ج٣، ص٢٣١

٤٣ – الجوهري, مختار الصحاح, مادة (عجم)

[٤٤] ابن السيدة، المخصص: ج١، ص١٨١

[٤٥] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٩، ص١٥٦

٤٦– ابن منظور, لسان العرب, مادة (دمج)

[٤٧] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج١، ص٣٨٩

[٤٨] الطيب، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: ص٦٠

[٤٩] جرّار، شعر الرَّمادي: ص٥٥–٥٤

[٥٠] الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج١، ص١٦٦

[٥١] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ج١٦، ص٩

٥٢ – الجوهري, مختار الصحاح, مادة (قسس)

[٥٣] الجواهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج١، ص٢٤١

[٥٤] الازهري الهروي، تهذيب اللغة: ج١٥، ص١٧١ –١٧٠

٥٥ – التبريزي, الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي, ص٢٠٧

[٥٦] الفراهيدي البصري، العين: ج٧، ص٣٠؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٣، ص٢٣٨

[٥٧] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٣، ص٤٧٨

[٥٨] ابن جني الموصلي، العروض: ص١٠١

[٥٩] ابن جني الموصلي، العروض: ص١٤٧

[٦٠] الازهري الهروي، تهذيب اللغة: ج١٤، ص٨

[٦١] الزمخشري، أساس البلاغة: ج١، ص٥٩٧

[٦٢] جرّار، شعر الرَّمادي: ص٥٥

[٦٣] جاسم، «إتجاهات القصص في شعر الرَّمادي يوسف بن هارون»: ص٢٨٠

[٦٤] جرّار، شعر الرَّمادي: ص٧٨–٧٧

[٦٥] الزمخشري، أساس البلاغة: ج١، ص٤٧٤

– ابن منظور, لسان العرب, مادة (اقترح) ٦٦

[٦٧] الازهري الهروي، تهذيب اللغة: ج١٤، ص٨

[٦٨] ابن دريد، جمهرة اللغة: ج١، ص٤٧٣

[٦٩] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٦، ص٢٧٧

٧٠ – ابن منظور, لسان العرب, مادة (شعر)

[٧١] الازهري الهروي، تهذيب اللغة: ج١٥، ص١٧١–١٧٠

[٧٢] جرّار، شعر الرَّمادي: ص٧٨–٧٧